المشرق الرقميّة
٢١
العدد الحادي والعشرون
كانون الأوّل ٢٠٢٢

التَّغريدة التِّقنيَّة والتَّوقيعات العربيَّة

الدّكتور جان توما*

عرف العرب فنَّ التَّوقيعات في جمل نثريَّة مقتضية مشابهة للتَّغريدات الإلكترونيَّة في العصر الحديث

الجاحظُ[١]، جبَّارُ النَّثر العربيّ، ولَّاه الخليفةُ المأمونُ[٢] ديوانَ الرَّسائلِ ، أعلى سلطاتِ النَّثر، فاستقالَ بعد ثلاثةِ أيَّامٍ وولّى إلى غيرِ رجعة. فرَّ الجاحظُ، وهو دائرةُ المعارفِ والموسوعةُ من النَّثر الرَّسميّ. فالنَّثر الحقيقيُّ لا يعيشُ في مجالسِ الخلفاءِ، ولا في دواوينِ الولاةِ، ولا عند أبوابِ الحكَّام. هو المنثورُ خيرًا لا المنظومُ تكسُّبًا، هو العَفْويَّةُ لا التَّصنُّعُ والتَّحاصصُ والتَّسوياتُ، فإنْ ذهبتَ إليه تَجِدُهُ حيًّا في ألسنةِ البيَّاعينِ،

---

* حائز شهادة دكتوراة في اللُّغة العربيَّة وآدابها من الجامعة اللُّبنانيَّة. أستاذ محاضر في جامعات: القدّيس يوسف، واللُّبنانيَّة، وسيّدة اللّويزة، ويشغل منصب رئيس قسم اللُّغة العربيَّة في جامعة الجنان. له أكثر من سبعة عشر إصدارًا يتراوح بين كتب أدبيَّة، وشعريَّة، ورواية، ودراسات تربويَّة، وتحقيق مخطوطات.

toumajean@yahoo.com

١ أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٧؟-٢٥٥هـ/٧٧٣؟-٨٦٩ م). عُرف بالظُّرف والسُّخرية البارعة والنَّقد الصَّائب. (منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ط.١، بيروت – لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٩٢، ص.١٥٥.)

٢ أبو العبَّاس عبدالله (١٧٠-٢١٨ هـ/٧٨٦، ٨٣٣ م): سابع الخلفاءالعباسيّين، ابن هارون الرَّشيد. أسَّس بيت الحكمة. (البعلبكي، المرجع نفسه، ص.٤١٣.)

وعلى شفاهِ المحبّينَ، وفي هدهدةِ الأمهاتِ ووصايا الأجيالِ المتواترةِ، لذا قالَ سهلُ بنُ هارون[٣] في موقفِ استقالةِ الجاحظِ من تولّيهِ ديوانَ الرَّسائلِ: "إنْ ثَبَتَ الجاحظُ في هذا الدِّيوانِ أَفَلَ نجمُ الكتابِ". طبعًا هذا يلتقي مع ما أورده نقَّاد اليوم، كالرّوائيّ إلياس خوري[٤] الَّذي بعد تعليمِهِ في دورة محوّ الأمِّيَّةِ عمَّالًا بسطاء، حيث شبَّهَ أحدُهُم النُّجومَ بالعيون كتب: "عليّ أن أقرأَ الأمورَ بطريقةٍ مختلفة. العاملُ البسيطُ لا يقلِّدُ الشَّاعرَ [أو الأديب] – المثقَّف، بل على العكس، فعبد الوهَّاب البيَّاتي[٥] أخذ استعاراته من الأدبِ الشَّعبيّ، وكشفَ لنا أنَّ أحدَ مصادرِ أهمِّ الخيالِ الأدبيِّ هو الكلام: "... حتَّى النُّجومُ/ كنَّا نقولُ بأنَّها كانت عيونْ/ للأرضِ تنظُرُ في فتونْ/ حتّى النُّجومْ كانت عيونْ/"[٦].

النَّثر الإبداعيُّ هو الهروبُ من المبالغةِ والتَّكرارِ والحشوِ، ومن الجُمَلِ المقولبةِ، والأفكارِ المسبقةِ، والتَّصاريحِ المعلَّبةِ، والبياناتِ المكبسلةِ، والمواقفِ المفسبكةِ. هو الابتعادُ عن النُّصوصِ الوعظيّةِ والإرشادِ، وعن الانحيازِ الأعمى والاستسلامِ الخانعِ لمجرياتِ النَّمطِ الحكواتيِّ، كما في قصصِ عنترةَ وألفِ ليلةٍ وليلةٍ لأنَّ النَّصَّ النَّثريَّ الممتعَ هو القصَّةُ كلُّها واللَّيلةُ الَّتي لا تتكرَّرُ. لعلَّ النَّثر انبلاجُ حقيقةٍ، "كلَّما ضَوَّأَ في القريةِ مصباحٌ جديد"، كما يقولُ خليل حاوي[٧]. فإذا كانَ العالمُ قريةً صغيرةً، فهذا يعني أنَّ النَّثر الحاليَّ نورٌ يُستضاءُ به، ومنَ الصَّعبِ تعدادُ أساليبِهِ في غمرةِ التَّحدّياتِ التِّقنيَّةِ الهائمةِ اليومَ على مِنصَّاتٍ متبدِّلَةٍ ومتغيِّرةٍ . هل يا تُرى النَّثر اليومَ هو الثَّابتُ في زمنِ التَّحوّلِ؟ كما يقولُ أدونيس[٨].

تسودُ اليومَ في نثرِ التَّواصلِ سرعةُ الفهمِ والإفهامِ ، ولو طغى الغموضُ أحيانًا، صياغةً ومضمونًا، بعدما هامَ الاشتقاقُ وتوغَّلَ في خاصرةِ اللَّغةِ العربيَّةِ وغيرِها، إلى جانبِ النَّحتِ من كلمتينِ أو تعبيرينِ. فمن يحدِّدُ اليومَ صفاتِ النَّثر الحديثِ؟ وقد صار خليطًا من عربيَّةٍ/ أعجميَّةٍ، وعربيَّةٍ فصيحةٍ/ ومحكيَّاتٍ متنوِّعةٍ/ مدينيَّةٍ/ ريفيَّةٍ؟ راحَ النَّثر اليومَ "ما بين التواءٍ ودورانٍ ومشقَّةٍ في التَّعبيرِ عن المعاني"، كما يقولُ

---

[٣] (توفِّي عام ٢١٥هـ./٨٣٠م). كاتب عربيّ فارسيّ الأصل. متعصِّب للعجم على العرب. (البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ص.٢٤٤.)

[٤] (مواليد ١٩٤٨). أديب لبنانيّ يكتب القصَّة القصيرة والرِّواية والنَّقد الأدبيّ. عمل محرِّرًا ثقافيًّا في شؤون فلسطينيّة والكرمل والسَّفير والنَّهار وغيرها. له روايات عدّة. (حمدي السُّكوت وآخرون: **قاموس الأدب العربيّ الحديث**، القاهرة: الهيئة المصريَّة للكتاب، لا ط. ٢٠١٥، ص.١١١.)

[٥] (١٩٢٢–١٩٩٩). شاعر عراقيّ. عمل ملحقًا ثقافيًّا لبلاده في موسكو، ثم درَّس في جامعات موسكو. أحد روَّاد الشِّعر الحرّ. (البعلبكي، **المرجع السَّابق**، ص. ١٢٥.)

[٦] جريدة القدس العربيّ وعلى صفحته (الفايسبوك). تاريخ النَّشر والدُّخول ٣١ أيَّار ٢٠٢٢.

[٧] (١٩٢٩–١٩٨٢م). شاعر عربيّ لبنانيّ. درس في الشّوير ثمَّ في كمبردج إنكلترا. ثمّ درَّس الأدب العربيّ في الجامعة الأميركيَّة ببيروت حتَّى انتحاره. له مؤلَّفات. (البعلبكي، **المرجع السَّابق**، ص.١٧٠).

[٨] علي أحمد سعيد (١٩٣٠)، شاعر عربيّ. شارك في تأسيس **مجلَّة شعر** في العام ١٩٥٨. له آثار عدّة. (البعلبكي، **المرجع السَّابق**، ص.٥٢).

طه حسين[٩] في نثرِ ابن المقفَّع[١٠]، فيما يرى محمَّد كرد علي[١١] " أنَّ نثرَ ابن المقفَّع يغترفُ بيانَهُ من صميمِ القلبِ، منخولةٌ ألفاظُه في مِنْخَلٍ دقيقٍ، نقيِّ الزُّؤان لما يحمل". هنا اختلافٌ في تحديدِ نصوصِ النَّثر السَّابقةِ، فمن يوصِّفُ لنا اليومَ صورةَ النَّثر العاملِ بينَ كتَّابِ اليوم؟ كما في السِّير الذَّاتيَّةِ والغيريَّةِ في الرِّواية اللُّبنانيَّة المعاصرة كما عند إميلي نصرالله[١٢] وجبُّور الدّويهي[١٣] وربيع جابر[١٤] وغيرهم، في النَّصِّ الكثيفِ المشحونِ الصُّورِ والمفاصلِ الفنِّيَّةِ في بساطةِ تعبيرٍ ينسابُ في معراجِ الصُّورةِ الشِّعريّةِ ما يشكِّلَ السِّياقَ الجديدَ لنثرٍ يتواصلُ عبرَه النَّثر بألوانِ كلامٍ يؤسِّسُ لمعجمِ النَّثر الحديثِ. فهل يتصدَّرُ هذا المعجمُ يوميَّاتِنا في توحيدِ مفهومِ الأصواتِ الأربعة في صوت واحد: الكاتب والرَّاوي والرِّاوية والشُّخوص، بحسبِ النَّاقدِ الرُّوسيِّ ميخائيل باختين[١٥]؟

غيرُ صحيحٍ أنَّ نثرَ العصرِ خرجَ عمّا كان مألوفًا وسائدًا، إذ طَرَّقَتِ التِّكنولوجيا سُبُلًا أمامَ النَّاثرِ العربيِّ الحديثِ ليمارسَ نثرَهُ في حدودِ طاقةِ اللُّغةِ العربيَّةِ وإمكاناتِهِ التَّعبيريَّةِ الواسعة، في محاولاتٍ تجريبيَّةٍ واسعةٍ ومتنوِّعةٍ. من هنا فإنَّ النَّظرةَ الموضوعيّةَ الحاليَّةَ تقتضي من الباحثِ المنصفِ الجادِّ أن يُفْسِحَ الطَّريقَ أمام هذه الحركةِ التَّجديديَّةِ في النَّثر العربيِّ، وهي تُعْتَبَرُ حلقةً مهمَّةً من حلقاتِ التَّجديدِ في الأدبِ الحديثِ، وأنْ يكونَ المعيارُ فيها مقدارَ ما تحملُهُ من سماتِ الموهبةِ والأصالةِ والابتكارِ، ومهما يكنْ من

---

[٩] (١٨٨٩–١٩٧٣): أديب وناقد مصريّ. يُعتبر أبرز روَّاد التَّجديد في الأدب العربيّ الحديث. فقد بصره وهو طفل صغير. اشتهر بآرائه الجريئة. (البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ص.١٧٢).

[١٠] عبدالله ابن المقفَّع (١٠٦–١٤٢هـ/ ٧٢٤–٧٥٩م). أديب عربيّ، فارسيّ الأصل. اتّهمه بالزَّندقة فقتله والي البصرة في عهد المنصور العبَّاسيّ. (البعلبكي، المرجع نفسه، ص.٣٧).

[١١] محمَّد بن عبد الرَّزَّاق محمَّد كرد علي. (١٨٧٦–١٩٥٣م). قدم من العراق واستقرَّ في دمشق. أتقن ثلاث لغات: العربيَّة والتُّركيَّة والفرنسيَّة. عمل في جريدتَي الشَّام والمقتطف حيث نزل مصر في العام ١٩٠١ وتولَّى تحرير جريدة الرَّائد المصريّ... (السّكوت وآخرون، **قاموس الأدب العربيّ الحديث**. ص.٧٢١).

[١٢] إملي نصرالله (١٩٣١–[٢٠١٨]). روائيَّة لبنانيَّة وقاصَّة. ولدت في كوكبا، لبنان. درست في بيروت. تنقّلت بين سورية والأردن ومصر وإنجلترا وفرنسا وغيرها. (السّكوت وآخرون، **المرجع نفسه**، ص.١٢٠).

[١٣] جبُّور الدّويهي (١٩٤٩–٢٠٢١]). روائيّ لبنانيّ من مواليد زغرتا، شمال لبنان. درس في مدرسة الفرير – طرابلس. نال شهادة الدُّكتوراة في الأدب العربيّ من جامعة السُّوربون في العام ١٩٨١. له نحو ١٥ عملًا أدبيًّا ما بين رواية وقصَّة قصيرة، ووصلت روايته «ملك الهند» إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر في العام ٢٠٢٠، وأيضًا روايته "مطر حزيران" ضمن اللَّائحة القصيرة للبوكر في العام ٢٠١٦. (نزيه كبَّارة، **الأدب القصصيّ في لبنان الشَّماليّ**، لا ط.، منشورات مؤسَّسة شاعر الفيحاء سابا زريق الثَّقافيَّة، لا ت.، ص.٢٢٢)

[١٤] ربيع جابر، ولد في بيروت ١٩٧٢. قضى سنوات الحرب في الجبل الَّذي يطلّ على العاصمة. استقرَّ في بيروت، وسكن في الجامعة الأميركيَّة، وتخرَّج بدرجة البكالوريوس في الفيزياء من الجامعة الأميركيَّة. له روايات عدّة، نال جائزة النَّاقد للرِّواية في العام ١٩٩٢ عن رواية "سيِّد العتمة"، جائزة البوكر أو الجائزة العالميَّة للرِّواية العربيَّة لعام ٢٠١٢ عن رواية "دروز بلغراد – حكاية حنَّا يعقوب"، الجائزة الأدبيَّة من مركز القلم الدَّوليّ بأمريكا عن فئة التَّرجمة لعام ٢٠١٧؛ عن النَّسخة المُترجَمة لرواية "الاعترافات". https://www.arageek.com تاريخ الدُّخول ٢٠٢٢/٥/٣١.

[١٥] (١٨٩٥–١٩٧٥). فيلسوف ولغويّ ومنظِّر أدبيّ روسيّ. درس فقه اللُّغة وعمل في سلك التَّعليم، وأسَّس حلقة باختين النَّقديَّة في العام ١٩٢١ https://www.marefa.org/ . تاريخ الدُّخول في ٣١–٥–٢٠٢٢.

طبيعةِ الأمرِ، فقد استطاعَ النَّثر المعاصرُ والمواكبُ اهتماماتِ النَّاسِ المتغيِّرةِ في كلِّ آنٍ، وبفعلِ روحِ التَّصميمِ الحداثيِّ أنْ تنالَ حقَّ الإقامةِ في خطابِ النَّاطقينَ أو النَّاثرينَ بالضَّادِ مشحونةً بالصُّورِ والعناصرِ الجماليَّةِ، بنحوٍ أسهلَ ممَّا كان سابقًا.

فإنْ ذهبنَا إلى ما نشهدُهُ من نصٍّ نثريٍّ على "التّويتر" مثلًا، وينتشرُ بسرعةِ البرقِ، إنَّما هو في تراثِنَا، فـ"التَّغريداتُ" الإلكترونيَّة هي فنُّ" التَّوقيعات" الَّذي عَرَفَهُ العربُ، في الجملِ النَّثريَّةِ المقتضَبة والمحدَّدةِ، كما في "التّويتر"، بأحرفٍ معدوداتٍ. جاءَ في توقيعٍ للخليفةِ الرَّاشديّ عمر بن الخطَّاب[١٦] في حثِّ أحدهم على الحضور للمساءَلَةِ فورًا:" يدُكَ في الكتابْ ورجْلُكَ في الرِّكاب"، وجاء في "توقيعٍ" أو "تويتر" لعمر عبد العزيز[١٧] في خطابِهِ إلى والي الحجاز قبلَ قرونِ مَضَتْ: " كَثُرَ شاكوكْ، وقَلَّ شاكروكْ، فإمّا اعْتَدَلْتَ وإمَّا اعْتَزَلْتَ"، كما ورد له توقيعٌ لعاملِهِ في إحدى مدنِ المغربِ الَّذي رأى أنَّ المدينةَ تحتاجُ إلى تحصينٍ، فوقَّعَ له: "حصِّنها بالعدل والسَّلام".

في هذا الخضمِّ من التَّعاريفِ والمفاصل، باتَ لزامًا على المعنيِّينَ اللُّغويينَ تأطيرَ نثرِ اليوم، وقد باتَ العاملونَ، بسببَ توسُّعِ مِروحةِ التِّقنيةِ، كثيرينَ، ما بين حارثٍ، وحارسٍ، وناثر. ضاعَتْ هُويَّةُ فاعل النَّصّ، صار الكاتبُ، هو النَّاثرُ والمنثورةُ والمنثَرُ إليه، المُرسِلُ والمرسَلَةُ والمرسَلُ إليه، النَّاصُّ والنَّصُّ والمنصوصُ إليه. ضاعَ النَّصُّ النَّثريُّ المعاصرُ بين صفحاتٍ إلكترونيّةٍ وشابكاتٍ عنكبوتيَّةٍ، في زمن خرج فيه الورق من الكتاتيبِ ولم يعد؟.

---

[١٦] (٣٨؟ ق.هـ – ٢٣هـ/٥٨٦ ؟–٦٤٤م). ثاني الخلفاء الرَّاشدين. اغتاله غلام فارسيّ في المسجد. (البعلبكيّ، **معجم أعلام المورد**، ص.٢٨٩)

[١٧] (٦١–١٠١هـ/٦٨١–٧٢٠م). الخليفة الأمويّ الثَّامن. اشتهر بالتَّقوى والزُّهد. (البعلبكيّ، **المرجع نفسه**، ص.٢٨٩).